المجلة الجزائرية للمخطوطات المجلد 17 / العـدد: 2 جوان 2021 ص: 162–177

دراسة في التاريخ السياسي الموريتاني
(صفحات من نضال الزعيم أحمدو ولد حرمة)

A study in Mauritanian political history
(Pages from the struggle of the leader Ahmedou Ould Harma)

بوها ولد محمد عبد الله سيدي* ، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية – موريطانيا
elmaraghisi07@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/31 تاريخ القبول: 2021/06/25 تاريخ النشر: 2021/07/25

ملخص:

يعد الزعيم أحمدو ولد حرمة ولد ببانة أبرز السياسيين في موريتانيا، فهو ثائر في مختلف مراحل عمره فقد ثار على مجتمعه رغم أصالته وقوميته، ودعا إلى ولوج المدارس الفرنسية وممارسة السياسة بما يخدم البلد، كما ثار على الإدارة الاستعمارية الفرنسية واستغل مختلف المناصب التي تقلدها ليدعوا من خلالها إلى الثورة والتحرر.

في هذا المقال نحال أن نعرض لبعض جوانب نضاله السياسي وكيف أصبح أول موريتاني في البرلمان الفرنسي؟ وما هي أبرز مواقفه؟ والمكاسب التي حققها من خلال نضاله؟

الكلمات المفتاحية: الزعيم، أحمدو، ولد حرمة، موريتانيا

Abstract:

Leader Ahmedou Ould Harma Ould Bebana is considered the most prominent politician in Mauritania. He is a revolutionary in various stages of his life. He revolted against his society despite his originality and nationalism Through it to revolution and liberation.

In this article, we want to present some aspects of his political struggle and how he became the first Mauritanian in the French Parliament? What are the most prominent positions? And the gains he made through his struggle?

Keywords: Leader, Ahmadou, Ould Harma, Mauritania

* المؤلف المرسل:

1. مقدمة:

قادت الهمة والطموح الزعيم الوطني أحمدو ولد حرمة ولد ببانة[1] إلى أن يكون أول ممثل عن موريتانيا في البرلمان الفرنسي وبحنكة سياسية وثقافة أصلية استطاع أن يوحد الضمير الجمعي الموريتاني حوله. حيث كانت سنوات الأربعينيات حبلى بالكثير من التطورات والأحداث فعلى الصعيد الدولي خرجت القوى الدولية منهكة إثر الحرب العالمية الثانية، وكان التوجه العالم لفرنسا تنظيم المستعمرات في جو أقل تبعية وأضمن استمرارية في مسارها للاستعماري، فجاء مؤتمر برازفيل 1944 الذي كان من مخرجاته منح المستعمرات ممثلين في الجمعية الوطنية الفرنسية.

بدأت فرنسا تتحسس رجالاتها، وتبحث عن الرجل المناسب الذي سيمثل مستعمرة موريتانيا، وتكون له القدرة على إسكات مطالب الأهلي والاكتفاء بالتمثيل الشكلي لمستعمرته في البرلمان الفرنسي، فرشحت الفرنسي (أفون رازاك) وكانت موريتانيا يومها مستعمرة ملحقة بمستعمرة السنغال التي كان الاشتراكيون فيها يحتكرون المشاركة السياسية لهذه المستعمرة أمثال: صينغور ولمين غي، وغيرهم.

في تلك الأثناء برز الزعيم حرمة الذي لم يكن معروفا لدى الإدارة الفرنسية بصفته سياسيا يحمل مشروعا وطنيا مقنعا جمع بين الأصالة والمعاصرة، وكان أفق مشروعه الوطني نيل الاستقلال وتوحيد البلاد، وقد استغل الفرصة للترشح في مؤشر لميلاد حركة وطنية في البلاد، والتي استطاعت بخطاباتها التعبوية ومجهودها المحدودة نيل ثقة الشعب، و كان نجاحه نجاحا كاسحا أمام خصومها وبالأخص مرشح ائتلاف الإدارة الاستعمارية الفرنسي (إفون رزاك) سنة 1946، وليكون بذلك حرمة أول موريتاني تحت قبة البرلمان الفرنسي.

[1]:يعرف بشهرته ولد حرمة أو حرمة، وببانة: تكتب تارة بابانا كذلك. ونحن سنقتصر بعد تقديم أسمه الكامل على : حرمة .

ومن هنا بدأت الخطوات العملية للمطالبة بالحقوق وإسماع صوت الشعب لأول مرة "وقد بدأ نجم أحمدو ولد حرمة في الظهور 1946 حين انتخب نائبا في البرلمان الفرنسي ممثلا لموريتانيا بعد أن ظلت ممثلة من طرف بعض السياسيين السنغاليين ك:سينغور"[1].

ورغم أن آليات الاقتراع جديدة على أهل هذا البلد ورغم ما شاب الانتخابات من خروقات فقد" حصل أحمد بن حرمة على أربعة آلاف صوت على حين لم يحصل "رازاك" إلا على ثلاث آلاف صوت رغم التهديدات ، وإجراءات العنف التي فرضتها السلطات الحاكمة"[2].

وبعد فوزه أراد حرمة أيشق طريقه في النضال باتجاه مغاير لما كانت عليه سياسة الاشتراكيين ومن حالفهم من الموريتانيين، فتحول من الكتلة الاشتراكية إلى اليسار الذي كان يتزعمه "متراه" واستغل مقعده في البرلمان أحسن استغلال، حيث ظل يطالب باستقلال المستعمرات، ونددبما يحصل من انتهاكات على يد الفرنسيين في الجزائر، وأبعد من ذلك ندد باعتراف فرنسا بإسرائيل وطالب بحقوق الفلسطينيين، وهو ما جعله شخصا غير مرغوب فيه في البرلمان. فقد حقق مكاسب معتبرة في ظرف قياسي بحنكة السياسي وتجربة الخبير، حيث فرض إلغاء جملة من الإجراءات التعسفية التي كان يفرضها المستعمر على السكان، وفتح باب النضال السياسي المنظم.

بدا حضور حرمة في البرلمان أكبر من كونه ممثلا لإحدى المستعمرات، وظهرت بسبب أدواره التي لعبها بوادر استياء من الإدارة الفرنسية في السنغال، فوضعوا خطة لمنعه من الاستحقاقات اللاحقة، تقوم على تقويض مشروعه الثوري من خلال تشكيل ائتلاف سياسي مناوئي لحرمة، تجسد في الحزب التقدمي، وهو

[1]:حجاج ومهاجرون (علماء بلاد شنقيط –موريتانيا في البلاد العربية وتركيا)، حماه الله ولد السالم، ص: 258، دار الكتب العلمية

[2]: التاريخ الإسلامي – ج 14: بلاد المغرب، محمود شاكر المكتب الإسلامي، ص:484، ط:2، 1996.

امتداد لحزب تجمع الشعب الذي أسسه الجنرال ديكول، و تمت دعوة القبائل إلى ذلك بحجة أن حرمة يسعى إلى تمكين قبيلته من شؤون تدبير المنطقة ويهدد مصالحهم في التعامل مع الإدارة الفرنسية.

وقد تم تزوير الانتخابات في 1951 على حرمة، و فاز مرشح الحزب التقدمي السنغالي يحي انجاي بدعم مباشر من الإدارة الفرنسية 1951، وتم التضييق على حرمة بتحويل مكان عمله تحويلا تعسفيا إلى دكار ومنعه من راتبه لأسبب ليست معلنة، و ليصل التضييق حد منعه من دخول بلده، ثم استبعاده من أي مشاركة سياسية داخل البلد، فقرر السفر إلى فرنسا للطعن في النتائج وهناك تمت محاولة اغتياله مرتين لينجو منهما وليسافر متخفيا إلى سويسرا ثم إلى القاهرة 1956، حيث كانت الأخيرة مأوى لأفئدة قادة النضال ودعاة التحرر، إذ تحتضن وقتها زعامات وقادة التحرر أمثال: الفضيل الورتلاني وعلال الفاسي وعبد الكريم الخطابي، لينضم حرمة إلى قافلة الزعماء الوطنين، وليبدأ نضاله من الخارج[1].

I- المولد والنشأة:

ولد أحمدو ولد حرمة ولد ببانة (بابانا) سنة 1907م ببلدة لمليحة الواقعة في ولاية أترارزة بالجنوب الموريتاني، تلقى تعليمه المحظري هناك حيث حفظ القرآن ودرس المتون الشائعة في النحو والفقه واللغة، وبمبادرة ذاتية ودون دعم من وسطه الاجتماعي دخل المدرسة الفرنسية 1925 وتابع دراسته في مدرسة أبناء الأعيان في "بوتلميت" حتى تخرج منها وبها أصبح معلما للغة الفرنسية[2].

احتك حرمة أثناء عمله بالإدارة الفرنسية ليطلع بشكل كبير على ممارسات الاستعمار المجحفة والمخالفة لكل القوانين والأعراف الدولية، فأسر في نفسه فعلا ثوريا كبير، يتخذ من السياسة، والنضال الجماهيري وسيلته، "وفي تلك الفترة تولدت لديه روح الثورة مع رفضه للممارسات الاستعمارية "[3].

---

[1]: تداول السلطة والاستقرار السياسي في أفريقيا، دراسة حالتي نيجيريا موريتانيا، شيماء محي الدين، محمود، المكتب العربي للمعارف، ص:204.

[2]:أحمد ولد حرمة...حكاية أول برلماني موريتاني، محمد ولد محمد عبد الحي، جريدة الشعب الموريتانية، ع:10220، 2013.

[3]: نفسه.

انطلق حرمة كمعلم للغة الفرنسية ، ثم مارس الترجمة في مناطق مختلفة من البلاد، وهو ما أتاح له فرصة الالتقاء بمختلف المجموعات القبلية المنتشرة في أقطار البلاد، فالتقى بالزعامات التقليدية و المشايخ، والنخب الصادعة من أطر التعليم والإداريين والمترجمين. حاول حرمة أن يُطلع هذه النخب على الوضع الحالي للبلد والسياسة الخارجية، وضرورة انتهاج مسار سياسي للمطالبة بالاستقلال.

فاستطاع بشجاعة وبُعد نظر في مآلات السياسة أن يدرك الظرفية الحرجة التي تمر بها الدولة الفرنسية وهي تخرج منهكة من الحرب و ما أعقب ذلك من توجه دولي جديد أثر على السياسات الاستعمارية، يقول عنه السياسي الكبير شيخنا محمد لغظف: "هو أول من عرف أن معاملات فرنسا الاستعمارية سوف تتغير وهو كذلك أول من اتضحت له الرؤية قبلنا كلنا في موريتانيا وعمل على أساس ذلك واتصل بحزب كبير الحزب الاشتراكي الفرنسي"[1].

يتمتع الزعيم حرمة بنزعة قومية، تشكت من خلفيته التعليمية الأصلية، والتي حافظ عليها رغم دخوله المدرسة الفرنسية، واحتكاكه بالثقافة الغربية فظل توجهه العروبي والإسلامي جليا في مواقفه وآرائه.

كما كانت لحرمة مساع لتكوين وقوة تحررية في المغرب العربي، تأسس لنبذ الاستعمار ووحدة المغرب العربي حيث " كان يتعاون مع قوميي المغرب العربي، ونتيجة لذلك، فقد بدأت المواجهة مع حزب الإتحاد التقدمي منذ البداية "[2].

II- مرحلة البحث عن الزعامات السياسية:

رغم التحولات التي شهدها العالم بعد الحرب العالمية الثانية بقيت موريتانيا تعاني من انعدام زعامات سياسية تستطيع أن تستفيد من مستجدات العصر من ليبرالية وحرية نسبية، وحيث الزعامات التقليدية ما تزال شبه متحكمة. فكان الوضع يتطلب ظهور زعيم سياسي قادر على التعاطي مع فلسفة الواقع، بما يشهده من تقلبات و صراعات على المصالح، في كسب مآرب لبلده و تخفيف وطأة المستعمر عنه.

---

[1]:احمدو ولد حرمة ولد بابانا...شهادة للتاريخ، جريدة العلم الموريتانيا، ع:22،2000.

[2]: تداول السلطة والاستقرار السياسي في أفريقيا، سابق، ص:204.

فالتاريخ السياسي القريب لموريتانيا "يتصل اتصالا وثيقا بالتحولات الدولية والإقليمية التي طالت المنطقة الشمالية الأفريقية إلا أنه يتميز بسمات عديدة لعل من أبرزها ديناميكية نشوء الكيان السياسي الموريتاني في طريقة تحكمها جملة من المحددات المتباينة ويكتنفها العديد من الأحداث المتلاحقة والاحتمالات المتعددة جعلت تطور هذا الكيان وبناءه مرهون بمؤشرات وضع داخلي متفجر وإدارة استعمارية مترددة وحركة استقطاب إقليمي مزدوج"[1].

فكانت الحاجة ماسة إلى وجود زعيم وطني يتصدر المشهد السياسي الموريتاني، بعد مخرجات مؤتمر برازفيل 1944 الذي أقر فيه الجنرال ديغول تمثيل المستعمرات في البرلمان الفرنسي باقتراح على مستوى المستعمرة و هو ما خلق جوا من الفيدرالية والاستقلال الذاتي.

كما أن ظهور نخبة سياسية وطنية يعتبر سابقة في تاريخ البلد، ويحمل عدة دلالات، فهو أول تمثيل سياسي للبلاد ذو صفة رسمية فقبل هذه المرحلة كانت موريتانيا مستعمرة ملحقة بمستعمرة السنغال، وكان المشهد السياسي يقتصر على الاشتراكيين السنغال دون غيرهم وكان الحضور الموريتاني يقتصر على وجود إداريين فقط. والدلالة الثانية أن هذا الكيان الذي بدأ في التشكل حديث عهد بالسياسة، وهو يتعرف على نظام سياسي مختلف عن نظام القبيلة وولائاتها ونزاعاتها.

III- المناخ الدولي والسياسة الداخلية للبلد أثناء نضال حرمة:

1- المناخ الدولي:

خضعت موريتانيا للاستعمار الفرنسي منذ مطلع القرن العشرين، ورسمت اتفاقية باريس 29 يونيو 1900 بين فرنسا وإسبانيا حدودها الحالية، لتجعل منها فرنسا حلقة وصل بين مستعمراتها. ومنذ ذلك الوقت أصبحت موريتانيا ملحقة بالأرضة الإفريقية المستعمرة، " تم إلحاقها على التوالي ب " الأراضي المدنية الإفريقية الغربية الفرنسية(A.OF) 1904، ثم مستعمرة (ملحقة بالولاية العامة لافريقيا الغربية الفرنسية)

[1]: **الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا (رسالة دكتوراة)، علي بدوي علي سلمان، ص:190.جامعة القاهرة، قسم التاريخ،2003.**

1902، قبل أن تصبح في إطار الدستور الفرنسي الصادر بتاريخ 27، أكتوبر 1946 أراضي (ما وراء البحار) كجزء من (الاتحاد الفرنسي) بمعنى آخر تجمع خاضع للقانون الداخلي غير ممركز يدار من طرف وال، ممثل في نفس الوقت للسلطة المركزية وللأراضي وتساعده جمعية محلية"[1].

هذا التطور الجديد في السياسة الفرنسية مع مستعمراتها، جاء نتيجة توجه دولي عام، وكانت فرنسا منهكة إثر الحرب الثانية، ولم تعد قادرة على التصدي لإخماد الثورات التي كانت تندلع من وقت الآخر. "وتعود تلك اللحظة الليبرالية (تمثيل المستعمرات) إلى ما أفضى إليه مناخ الحرب العالمية الثانية من توجه فرنسي لتنظيم المستعمرات على نحو أقل تبعية، واستجابة لمبادرة المفوض الفرنسي للمستعمرات في مؤتمر ابرازفيل 30 يناير 1944 والذي أقر منح أقاليم مستعمرات ما وراء البحر(Pays d'outre -mer) جزء من السلطة والتسيير المحلي وتمثيلها بنواب في البرلمان الفرنسي"[2].

2- التمثيل الموريتاني في الهياكل والهيئات الفرنسية:

استطاع حرمة ورفاقه استغلال دستور 1946 أحسن استغلال، فكان حرمة على وعي كبير بحيثياته واستبق الأحدث في توضيحه وإبلاغه للشباب الناشطين معه، وتحسيس الأهالي بمخرجاته، "وجدت تلك السياسة تقنينها في دستور 27 أكتوبر 1946 القاضي بقيام الاتحاد الفرنسي وصارت موريتانيا إقليما مميزا ضمن مجموعة غرب أفريقيا الفرنسية(A O F) وجرى التنافس على من يمثلها في البرلمان الفرنسي وجرت المنافسة بين الزعيم حرمة بابانا وخصمه الفرنسي إيفون رازاك "[3]. ليفوز بها الزعيم حرمة في أول تمثيل سياسي رفيع، ويدخل البرلمان الفرنسي، ولتصبح السياسة الاستعمارية في البلاد أمام ثلاث خيارات الإخضاع أو الإدماج أو الاستقلال.

---

[1]: تطور المؤسسات في الجمهورية الإسلامية الموريتانية أحمد سالم بيوط، تعريب محمد ولد الداه عبد القادر، يعقوب ولد محمد.، ص:2.

[2]: جمهورية الرمال، حول أزمة الدولة الوطنية في موريتانيا، حماه الله سالم، ص:62، دار الكتب العلمية بيروت.

[3]: **جمهورية الرمال، سابق ص:62.**

ومع تنامي الوعي، والنضال المستمر الذي قاده حرمة ورفاقه ظلت المكاسب تترا وإن ببطء، ففي "عام 1956 أنشأت فرنسا في موريتانيا مجلسا حكوميا رئيسه فرنسي ونائب رئيسه موريتاني وكان أول من شغل منصب نائب رئيس هذا المجلس هو المحامي المختار ولد داداه"[1]. وليصبح خيار الاستقلال أقرب من خيار الإدماج.

IV- التأسيس للأحزاب السياسية:

ترجع نشأة الأحزاب السياسية إلى فترة الاستعمار حيث جاءت بدايات التمثيل الموريتاني في المشهد السياسي سنة 1946 حينما سمحت الإدارة الفرنسية –مضطرة- بانتسابهم للأحزاب الفرنسية وترشيحهم من داخلها، وكان حرمة السابق في تلك الفترة لتمثيل بلاده، وإحداث حراك سياسي نتج عنه وظهور أحزاب ذات انتماءات إيديولوجية مختلفة. وفي هذه الفترة " ظلت الأحزاب إما فروعا من أحزاب فرنسية وإما حليفة لها مثل الحزب الاشتراكي الفرنسي والتجمع الديمقراطي الأفريقي الذي كان حليفا للحزب الشيوعي الفرنسي"[2].

لتبدأ بعد ذلك المرحلة الثانية سنة 1950 والتي رأى الزعيم حرمة فيها أن النضال لابد أن يتقدم أشواطا جديدة، وأن مطالبهم ليست فقط التمثيل السياسي بل هي أشمل من ذلك، تبدأ بالاستقلالية في القرار والتسيير تمهيدا لاستقلال ذاتي "في هذه المرحلة انتبه الساسة الأفاقة إلى عدم جدوى عملهم السياسي مادام في إطار أحزاب فرنسية لا يتمتعون فيها بوزن كبير ومحاولة من رغبات الرأي العام الناشئ وبشعوره الوطني حاول بعض الزعماء التخلص من النفوذ السياسي الاستعماري ووضع برنامج وطني يرمي إلى تحقيق الاستقلال"[3]. المرحلة الثالثة وهي المرحلة التي أوصلت بشكل تدريجي إلى الاستقلال.

وفيما يلي أبرز الأحزاب التي ظهرت في مرحلة النضال من أجل الاستقلال:

---

[1]:المسلمون في غرب إفريقيا، تاريخ وحضارة، محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية، ص: 192، دار الكتب العلمية بيروت، 1971.

[2]: **الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا (رسالة دكتوراة)، سابق** ،ص196.

[3]: السابق، ص:196.

1- حزب الإتحاد التقدمي الموريتاني

تأسس حزب الإتحاد التقدمي الموريتاني (UPM) في 6 فبراير 1946، ، واستمر في العمل حتى 5 مايو 1985، يتولى رآسته الشرفية الجنرال ديجول، وقد أسند لنخبة من الموالين للإدارة الفرنسية ومن أعضائه البارزين المختار آنجاي، والذي كان مرشح الإدارة الفرنسية ضد حرمة في الاستحقاق الثاني للنواب، وكانت قاعدة الحزب تتكون من عناصر موريتانية وزنجية وفرنسية، وقد سعى الحزب إلى خدمة أهداف فرنسا و رعاية مصالحها في البلد، دون أن يعبئ بأوضاع البلاد الراهنة وقتها[1]. وقد أثار تأسيسه جدلا واسعا ومعارضة كبيرة وفتح على نفسه سيلا من الانتقادات من طرف الجماهير بسببمحاباته لسياسات المستعمر.

2- حزب منحدري ضفة النهر:

كانت الإدارة الاستعمارية تتخذ من الزنوج إداريين ونواب لها يمثلونها في الأراضي الموريتانية ويمثلون سكانها في مجالس سيلويس، وهو ما جعل لهم اليد الطولى في السياسة عموما وسياسة البلد خصوصا. وبعد أن ظهر السعي لتشكيل الأحزاب جاءت دعوتهم مبكرة بتشكيل حرب سياسي يهتم ويدافع عن حقوق منحدري الضفة، وهو حزب قومي زنجي، ونظرا لاقتصاره على فئة معية، وانغلاقه على ذاته، فلم يعمر طويلا، وانضم كبار قيادته لحزب الوفاق بقيادة حرمة. "وفي الفترة ذاتها تشكل حزب سياسي آخر سمي الإتحاد العام لمنحدري ضفة النهر UGOUP، وذلك في أواسط عام 1947، وكانت بداية تأسيسه في السنغال أواسط 1947، ثم انتقل نشاطه إلى موريتانيا، وكانت قاعدته الاجتماعية من العناصر الزنجية وكان هدفه الرئيس رعاية حقوق المجموعة الزنجية في موريتانيا وقد عانى الحزب منذ البداية من حالة ضعف وذلك نتيجة عدم استناده إلى أساس شرعي للعمل في موريتانيا، وكذا نتيجة محدودية قاعدته

[1]: تداول السلطة والاستقرار السياسي في أفريقيا، دراسة حالتي نيجيريا موريتانيا، شيماء محي الدين، محمود، المكتب العربي للمعارف، ص:204.

الاجتماعية، فظل تأثيره محدودا، واستمر بشكل هامشي إلى حدود عام 1951، حيث تلاشي بعد انضمام أحد كبار مؤسسيه إلى حزب الوفاق الوطني"[1].

3- تأسيس حزب الوفاق الوطني:

جاء تأسيس حزب الوفاق الوطني (PEM) في الأول من يونيو 1950، بزعامة النائب أحمدو بن حرمة بن بابانا وقد بدأ هذا الحزب بالدعوة إلى إصلاح شامل، يحقق الأهداف الوطنية للشعب بعيدا عن سياسة الاستعمارية وضغوط القبلية وإملاءاتها، و طالب بموقف موحد للقوى السياسية في وجه المستعمر، وحماية الحوزة الترابية وقد برز نجم مؤسسه حرمة قبل تشكل كافة الأحزاب السياسية وأصبح الزعيم الوطني الأول الذي مثل موريتانيا سياسيا، في المحافل الدولية ومن نضاله ولد حزب الوفاق الوطني.

جاء تأسيس حزب الوفاق الوطني (PEM) في الأول من يونيو 1950، بزعامة النائب أحمدو بن حرمة بن بابانا وقد بدأ هذا الحزب بالدعوة إلى إصلاح شامل، يحقق الأهداف الوطنية للشعب بعيدا عن سياسة الاستعمارية وضغوط القبلية وإملاءاتها، و طالب بموقف موحد للقوى السياسية في وجه المستعمر، وحماية الحوزة الترابية وقد برز نجم مؤسسه حرمة قبل تشكل كافة الأحزاب السياسية وأصبح الزعيم الوطني الأول الذي مثل موريتانيا سياسيا، في المحافل الدولية ومن نضاله ولد حزب الوفاق الوطني.

وقبل تأسيس حزب الوفاق الوطني، كان رئسه حرمة مصنف لدى الإدارة الاستعمارية بعارضته ومطالبه الثورية، فكانوا على علم بأنه "ليس رجلهم المناسب وأنه يلزم السعي إلى التخلص منه، إذ لم يترك لهم وكرا في إفريقيا إلا وخلخله، فكثفوا نشاطهم من أجل الوقوف في وجه عودته إلى عضوية البرلمان، وفي هذا السياق رأوا بأن أحسن وسيلة لذلك هي تشكيل تيار سياسي مناوئ لأحمدو(ولد حرمة) للحيلولة دون

[1]: السابق، ص:204.

عودته إلى البرلمان الأمر الذي تحقق لاحقا في فبراير 1948 من خلال تأسيس حزب الإتحاد التقدمي الموريتاني الذي ضم الزعماء التقليديين و(بعض) الشباب المتخرجين حديثا من المدرس الفرنسية"[1].

وخرجت تشكيل حزبي مناوئة للزعيم حرمة، يهدف إلى مزاحمته وإسكات صوته بل وإنهاء مساره السياسي. وباشرت الإدارة " تأسيس الحزب التقدمي الموريتاني 1947، وتكون من المترجمين (الموالين) وشيوخ القبائل وقيادات من الزنوج الوافدين مع الإدارة الاستعمارية كمساعدين للجيش"[2].

ونظرا لقوة زعيم حزب الوفاق الوطني حرمة واتساع قاعدة حزبه الشعبية كان لزاما على الإدارة الفرنسية أن تنافسه على مختلف الأصعدة وتذهب به إلى أضيق الطريق، فجندت شيوخ العشائر ووكلاء الإدارة في مختلف الدوائر، تحضيرا للاستحقاقات التالية، وأشاعوا الشائعات بتوظيف حرمة للقبيلة، رغم أن الإدارة الفرنسية هي التي تتحكم في مفاصها و "هنا بدأ تكريس الانقسام القبلي وتحطيم النهضة الوطنية" [3].

وقد تم تزوير الانتخابات في 1951 على حرمة، ليفوز مرشح الحزب التقدمي السنغالي يحي انجاي بدعم مباشر من الإدارة الفرنسية 1951، والتشكيلات التابعة لها، لتبدأ بعد ذلك مضايقات الزعيم حرمة:بدأ بحرمانه من راتبه وتحويله إلى العمل خارج البلد إلى سينلوي في السنغال، ثم حرمانه من العودة إلى أرض الوطن، كعقاب على مواقفه المعارضة بشدة للاستعمار ورموزه، ورغم ذلك خاض الانتخابات في 1956 على ما هو فيه من حصار شل كل تحركاته، ليفوز فيها مرشح الإدارة الفرنسية من جديد. لكن هذه المرة قرر حرمة رفع قضيته في فرنسا عن طريق الحزب الذي كان يتزعمه، وطلب من المجلس الدستوري إلغاء نتائجها لكن سرعان ما تراجع بفعل الإدارة الاستعمارية، وهناك استقر في منفاه القصري بين العواصم العربية، وهو إعلان بإنتهاء حزبه وحظره.

---

[1]: أحمد ولد حرمة...حكاية أول برلماني موريتاني، محمد ولد محمد عبد الحي، جريدة الشعب الموريتانية، ع:10220، 2013.

[2]: **جمهورية الرمال، ص:63**

[3]: **السابق، ص:63.**

وقد أوعز حرمة إلى رفاقه بتأسيس إطار حزبي جديد عرف بحزب النهضة 1958، وقد تميز بالانتشار وسعة القاعدة الشعبية حتى وصل مختلف نقاط الوطن، ليصبح أكبر حزب مناوئ للمشروع الفرسي، وأهم حزب في فترة الاستقلال حتى تم حله واعتقال قياداته 1960.

وقد اتسعت بعد ذلك دائرة الأحزاب الموالية للإدارة الاستعمارية إلى جانب الأحزاب القومية، ففي 1959 فخرج حزبا الإتحاد الوطني الموريتاني الذي يدعو إلى الانضمام إلى مالي وهو قسم من الفيدرالية الأفريقية الذي يهدف إلى توحيد كافة أجزاء أفريقيا الفرنسية. والحزب الاشتراكي الإسلامي الموريتاني الذي يتكون من الوجهاء والأعيان المنحازين إلى فرنسا والمتمسكين بالنظم التقليدية[1]

V- تشكل الوعي وروح النضال عند حرمة:

اكتسب حرمة اعتزازه بهويته العربية والإسلامية من خلال تعليمه المحظري، وشرأبت نفسه بحب الحرية و روح الثورة حتى جبلت نفسه وطبع سمته على هذه القيم، وبرز ذلك على شخصيته منذ طفولته، فمع أنه كان رزينا، كيسا، كان كذلك شجاعا في اتخاذ قراره فقد دخل المدرسة الفرنسية ليتعلم بها رغم معارضة المجتمع لهذه المؤسسة، وبخاصة وسطه القبلي الضيق.

فروح الثورة بدت ملامحها على حرمة منذ طفولته، وفي شبابه دخل معترك النضال السياسي، مع تمسكه بمبادئه، ودون أن ينصاع لسلطة المجتمع – مرة أخرى- التي هي منقسمة بين مقاطع للمستعمر في كل شيء، وتابع له ومساند لأفعاله في كل شيء، لكن حرمة أراد أن يدخل السياسة كتعبير عن رفضه للاستعمار وسياساته، ويعلن الرفض من داخل مؤسساته.

انصب اهتمام حرمة منذ وقت مبكر على دراسة القوانين والنظم الإدارية والدساتير الوطنية، حتى أصبح ذو خليفة قانونية مكنته من فهم العلاقات بين المؤسسات والإدارات وكان مما يسعى له حرمة أن يخرج بلاده من ربقة الاستعمار إلى رحابة الحرية، فدرس الدستور الفرنسي (الجمهورية الرابعة) وبدأ التعرف على

[1]: الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا، سابق، ص:198.

الاشتراكيين في الفرع الفرنسي للدولية العالمية(S.F.I.O)، الحزب الاشتراكي الفرنسي حاليا، ثم الكتلة اليسارية، التي سينضم لها فيما بعد.

وقد بدا توجه حرمة واضحا من خلال تأسيسه لحزب الوفاق الوطني وما جسدته أهدافه التحررية ذات النزعة إلى المحيط العربي والإسلامي، وهو توجه ظهر جليا في طرح حزبه حزب الوفاق الوطني."وكان هذا الحزب (الوفاق الوطني) ذو اتجاه عروبي واضح بتأكيده على العربية لغة وثقافة وعلى الانتماء العربي والإسلامي لموريتانيا"[1].

وقد جسدت الحركة الوطنية التي قادها حرمة تنامي الوعي والحس الوطني وأيقظت الضمير الحر، وشكلت توعية حقيقية وأحيت الهمم وأنارت طريق النضال لنيل الحقوق ، وهو ما عكسته أول انتخابات فاز فيها حرمة وفاجئ خصومه. "برهنت الانتخابات وفوز حرمة على هيمنة الوعي المقاوم وتطور الوعي الوطني وبداية صعود الحركة الوطنية الموريتانية"[2].

هذا الاهتمام الذي أحيط به حرمة ورفاقه من قبل الشعب جاء نتيجة معارضتهم للإدارة الاستعمارية من جهة وتحررهم من القبيلة (السلطة التقليدية) من جهة أخرى، ورغم كونهم جزء من النخبة التي تخرجت من المؤسسات الفرنسية إلا أنهم ظلوا متمسكين بمبادئهم القومية وخياراتهم الوطنية. "تكوين النخبة الوطنية يدل على أن المدرسة الفرنسية أخرجت رجالا وطنيين لأنهم لم يكونوا تابعين لسياسات الاحتواء والتفريق الاستعماري، بل أفادوا من تكوينهم الحديث في اكتساب الوعي السياسي ومراكمة النضال الوطني من أجل الاستقلال الكامل والدولة الديمقراطية لجميع مكوناتها العرقية والثقافية"[3].

---

[1]: تداول السلطة والاستقرار السياسي في أفريقيا، دراسة حالتي نيجيريا موريتانيا، شيماء محي الدين، محمود، المكتب العربي للمعارف، ص:205.

[2]: جمهورية الرمال، سابق، ص:63.

[3]: **السابق، ص:62**.

كما كان حرمة منفتحا على مختلف الإطارات الوطنية وانتسب لحزبه شخصيات ذات وزن كبيرة أمثال المؤرخ المختار ابن حامد، وغيره. ورغم عروبيته فقد سعى لاحتواء كافة التيارات الوطنية حتى أستطاع ضم شخصيات زنجية كانت تمثل دعامة حزب الإتحاد العام لمنحدري الضفة (U.G.O.V.F) والذي تأسس 1948 في السنغال، وكان يدعوا للانفصال، قبل أن يتلاشى الحزب ويدخلوا في مظلة حزب الوفاق الوافرة الظلال على كل الوطنين.

عانى حرمة كأي صاحب مشروع وطني، من ضيم المستعمر المستبد، وظلم ذوي القربى، الذين عارضوا مشاركته وسفهوا مشروعه و ما يطمح له، ورأوا فيه إثارة لغضب المستعمر وضررا بمصالحهم عنده. فكان يدعوهم للانخراط في العمل السياسي المنظم والنضال الثوري،وهو ما لقي معارضة واسعة بدأت تتقلص مع تعاقب سنوات النضال. فهذا المجتمع لم يعرف سياسة خارج سياسة القبيلة، و توجيه زعمائها يقول حاكم مستعمرة موريتانيا [1] (1952-1954) واصفا الحياة السياسية: "إن السياسة بحد ذاتها لا تهم مجموع السكان الموريتانيين، لكن على مستوى كل قبيلة وعلى مستوى كل بطن وحتى على مستوى كل فرد منها، توجد أحقاد دفينة ومنافسات قديمة تتجدد كل إطلاق رصاصة..."[2]. كما أن بعض رجال الدين عارضوه لدخوله في سياسة تشرف عليها فرنسا وقالوا بعدم جوازها.

1- البرنامج الانتخابي:

أما برنامجه الإنتخابي فقد تمثل في جملة من الأهداف تمهد لاستقلال ذاتي و تطوير و تنمية للبلاد:

- إسقاط ضريبة الفرد، وحق التنقل وإجراءات الضيافة التي فرضها المستعمر.
- تعميم وترسيم اللغة العربية في المدارس الحديثة.

---

[1]: (بيار مسمير P.Mesmer) وهو إداري فرنسي كان يشغل منصب والي إقليم آدرار في شمال غرب موريتانيا 1950-1952 ثم حاكم مستعمرة موريتانيا 1952-1954.

[2]: جمهورية الرمال، سابق، ص:65.

- وضع سياسة تسير الموارد المائية، للاستفادة من فيضانات النهر ومياه الأمطار من خلال: بناء السدود وتشيد خزانات واستصلاح الآبار.
- شق طرق معبدة وإصلاح طرق القوافل التجارية، خاصة التي تربط البلاد بدول الجوار.

وقد اتخذ حرمة لنشر برنامجه عدة وسائل منها المهرجانات والاجتماعات التي كان يعقدها في مختلف مناطق البلاد، والتي لم تكن تخطئها أعين الإدارة الاستعمارية من خلال وكلائها، وحيث كان يحرض أثنائها على ضرورة الثورة، واليقظة وطرد المستعمر.

2- حضوره في البرلمان:

كان حضور حرمة قويا في البرلمان من خلال إسماع مطالب شعبه والتجاوب مع طموحاته، سبيلا إلى التطوير والرقي، وقد أسعفته شخصيته القوية وثباته المستميت من أجل قضيته، إلى تحقيق مكاسب هامة في ظرف استعماري صعب، فحقق فور توليه منصبه البرلماني :

دفع السلطات الاستعمارية إلى التخلي عن كافة الإجراءات التعسفية التي كان يفرضها الاستعمار:العمل القصري، إلغاء ضريبة الفرد، والضيافة الإجبارية. وفتح باب التصعيد في وجه المستعمر.

ولم يقتصر نضال حرمة على المطالب الشعبية بل كان منافحا عن قضية فلسطين ومؤيدا لحركات التحرر في المغرب العربي وإفريقيا."عارض تقسيم فلسطين وطالب فرنسا بوقف مساعداتها للكيان الصهيوني، بل وهدد بأنها إذا لم تتخل عن مساعدة الصهاينة بأنه سيعود إلى موريتانيا ويعلن الجهاد في سبيل الله، وهو ما تناقلته وسائل الإعلام الدولية المختلفة وخاصة الفرنسية، وأدى به التصعيد إلى أن استقال من الفرع الفرنسي للدولية العمالية احتجاجا على الاعتراف باسرائيل. ودافع أيضا من داخل البرلمان الفرنسي عن قضايا التحرير في المغرب العربي وفي إفريقيا[1].

3- ثمن النضال:

[1]: أحمد ولد حرمة...حكاية أول برلماني موريتاني، محمد ولد محمد عبد الحي، جريدة الشعب الموريتانية، ع:10220، 2013.

دفع حرمة ثمن نضاله المستميت بأن أصبح مهددا، ومطرودا من بلده، حيث تعرض لمحاولتي اغتيال كانت الأولى بحقنة سامة في إحدى مستشفيات سانت لويس بالسنغال والثانية في باريس حين أطلعته إحدى جهات استخباراتية عربية (من دول الشرف الأوسط) على مخطط لمحاولة اغتياله، وأكد له الخبر بعض أصدقائه الفرنسيين، ليتم تهريبه عن طريق سفارة لبنان في باريس من طرف الدبلوماسي ميشل فرعون إلى سويسرا وفور وصوله وجد السفير المصري في استقباله برفقة السيدان محمد فائق و فتح أديب الذين كانا حينها ضابطين في الجيش المصري، لينتقل إلى مصر وهناك رحب به عبد الناصر وفتح له مكتب تحرير موريتانيا وهو ما كان له صدا واسعا تناقلت أخباره الصحف الفرنسية ومنها يومية لموند في عددها الصادر 27 يونيو 1956 وهو ما أحدث تحولا سياسيا بارزا للوجود الفرنسي في موريتانيا وكان له الأثر في الحياة السياسية[1]. وفي مصر اتصل بالزعامات المغاربية وأنخرط مهم في مكتب واحد.

ظل يناضل من منفاه حتى نالت موريتانيا استقلالها 1960، ولم يسمح له بدخول البلاد في تلك الأثناء فظل في المغرب حتى 1974 ليعود إلى مسقط رأسه بعد مسار طويل مرهق من النضال وليضع عصاه هناك حتى وافاه الأجل المحتوم 1979، رحمه الله.

خاتمة:

وهكذا فقد كانت سنوات حرمة في النضال السياسي ضد الاستعمار الفرنسي عريضة حافلة بالإنجازات فالرجل عبئ وأيقظ الوعي الجماهيري ونظر لفكرة التحرر من الاستعمار، ومهد الطريق لها، كما حقق مكاسب بالغة الأهمية مأموريته البرلمانية أهمها:

- سن معارضة الفرنسيين وبخاصة الإداريين منهم الذين كانوا يستخدمون العنف ضد المدنيين فأمر بتحويلهم أثناء مأموريته ووافقت الإدارة الفرنسية على ذلك.
- أعاد إدارة البلاد في المجالس الفرنسية إلى الموريتانيين بعد أن أستأثر بها الاشتراكيون السنغاليون.
- ألغى كافة الإجراءات التعسفية التي كان يمارسها الإداريون الفرنسيون.
- ساهم من منفاه بتحريك أوراق موريتانيا على الصعيد الدولي لنيل الاستقلال.

[1]: نفسه.